السحر في العراق القديم

د .سهيلة مجيد احمد(*)

المقدمة

يتناول موضوع البحث تاريخ السحر عند العراقيين القدماء والذي يمثل جانبا مهما من المعتقدات الدينية السائدة آنذاك.

ويتضح من دراستنا لمباديء السحر وأنواعه أثره الكبير في حياة الناس اليومية إذ آمنوا به وحاولوا ربط أفكارهم السحرية بما هو موجود لديهم من أمور دينية لإضفاء نوع من القدسية عليها وترسيخها في معتقداتهم، ويبدو انه كان يكمن وراء ممارستهم السحر دوافع عدة منها سد جزء من الفراغ في النواحي الدينية والنواحي الطبية العلاجية (كهنوتية) في حالة عجزهم عن الحصول على سبل العلاج اللازم لشفاء المرضى.

ويستعرض البحث في فقراته الجذور الأولى للمعتقدات السحرية وماهية السحر (تعريفه) ثم يقدم آراء الباحثين المختلفة حولها، كما يتطرق إلى بيان مبادئ الأفكار السحرية استنادا إلى قانون التشابه والاتصال.

ويدرس البحث أيضا القوى السحرية المؤثرة على حياة الإنسان.

(*) قسم التاريخ - كلية الآداب / جامعة الموصل

الجذور الأولى للمعتقدات السحرية

كان السحر من المعتقدات القديمة التي عرفها سكان بلاد الرافدين شأنهم في ذلك شأن سائر الأقوام القديمة الأخرى.

ولا شك أن جذور العقائد السحرية قديمة، قدم حياة الإنسان على الأرض، ولعل بداياتها تعود إلى عصور سحيقة عندما كان الإنسان القديم يؤمن بالأساليب السحرية ويمارسها أثناء حياته في الكهوف والمغاور في العصور الحجرية القديمة[1].

ولعل ما يؤيد ذلك ما تم كشفه من مخلفات أثرية تشير إلى ممارسات سحرية آنذاك بغية تحقيق الأهداف والنتائج التي كان يتوخاها، حيث وجد المنقبون أن جدران الكهوف التي كان يعيشها الإنسان مليئة برسوم مختلف الحيوانات منها الغزلان والثيران والماموث والأسماك ذات الأهمية الغذائية في حياته اليومية وما ادهش الباحثين في تلك الأعمال الفنية الأسلوب الرائع في دقة تنفيذها مع مراعاة حجم أعضاء الجسم الطبيعي للحيوانات وتعمده غرز السهام والرماح في الأماكن الحساسة المهمة من الجسم كالقلب والرأس... والعمد إلى تصوير مشاهد خروج الدم منها للإيحاء بالموت وصيد الفريسة... ويبدو أن ذلك الإنسان قد اعتقد انه نتيجة المحاكاة والتقليد سيجعله يؤثر عن طريق رسمه لتلك الحيوانات إلى صيدها والسيطرة عليها بسهولة أثناء مطاردته لها، وهو اعتقاد سحري بدائي قائم على مبدأ التشبيه[2].

---

(1) Malafiji, A: Religion and Culture, 2d, pp. 118.

(٢) هاوزر ارنولد، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة فؤاد زكريا، مراجعة احمد خاكي، ج: ١، ط٢، بيروت_١٩٨١، ص: ١٧-١٨، ٢٠، ٢١.

تعريف السحر

قدم الباحثون تعاريف عديدة لعقيدة السحر نورد منها الآتي:

يقول دورم "السحر لدى سكان بلاد الرافدين هو فن القتال بالكلام المقدس والشعائر ضد الشرور التي تصيب الإنسان في جسده وروحه وعائلته"، أما ويستر مارك فيشير أن السحر هو: "استخدام بعض القوى الميكانيكية فوق الطبيعة دون أن نستنجد أو نتوسل إلى كائن فوق الطبيعة"(٣).

ويقول بوتيرو : أن : "السحر يرتكز على إرادة إخضاع ما هو فوق الطبيعة". فيما يقول هوبرت موس إن "السحر هو كل طقس لا يعتبر جزءاً من شعائر العبادة المنظمة، إنه طقس سري وغامض ويميل ؟ نحو الطقس المحرم"(٤).

ويرى فان جنيب بأن السحر هو "الشعائر التي يقوم بها أولئك الذين لا يرتبطون بالكنيسة الرسمية لزمن معين ومكان معين" ويرى مكسويل أن السحر "هو التعبير عن إرادة قوية حازمة في كل جزئيات الطقس، والنزوع إلى إخضاع الكائنات فوق الطبيعة أو السيطرة على القوى الطبيعية الخاضعة لسلطة الإنسان"(٥).

أما جاردين فيقول هو "فن إنتاج ظواهر خارقة أو إحداث تأثيرات بوسائل غير متناسبة استنجادا بغير الله"، أما شمار فيشير قائلا بهذا الخصوص إنه "لا

(٣) شمار، جورج بوبيه، المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية، ترجمة سليم صويس، بغداد – ١٩٨١، ص٣٩٠ – ٤٠٠.

(٤) المصدر نفسه : ص : ٤٠.

(٥) المصدر نفسه : ص : ٤٠ .

التاريخ ولا علم السلالات يجعلنا نجزم بوجود أية علاقة سلفية مهما كانت بين السحر والدين، فقد تعايش السحر والدين وسيظلان يتعايشان على الدوام"[٦].

فضلاً عن ذلك يشير فريزر إلى أن السحر "نسق كاذب أو زائف القانون الطبيعي مثل ما هو موجه، مضلل للسلوك، انه علم كاذب زائف بقدر ما هو فن عقيم[٧]". فيه يمكن تأثير شيء بآخر من خلال ما يمكن تصوره على انه نوع من الأثير الشفاف[٨].

مبادئ الفكر السحري

احتل السحر مكانا ساميا دائما في الديانة العراقية القديمة، بحيث إنّ الدين يمتزج بالسحر إلى درجة يمكن القول معها يستحيل وضع خط فاصل بينهما[٩]. وبهذا الخصوص يقول شمار: إنّ "تأثرت العقلية العراقية القديمة بالغيبيات تتضمن مسلمات دينية وأفكارا سحرية من الصعب جدا رسم حدود دقيقة بينها"[١٠].

وفي الواقع إنّ المفاهيم التي ارتكز عليها السحر اقدم من المفاهيم التي ارتكز عليها الدين واحتفظ السحر المقدس بمكانة مقدسة دائما في الديانة العراقية القديمة[١١].

ومن نتيجة تحليل الفكر السحري، يمكن القول إنّ المبادئ التي يقوم

---

(٦) المصدر نفسه : ص : ٤١.

(٧) فريزر : جيمس، الغصن الذهبي، ترجمة أحمد أبو زيد وآخرين، مصر ـ ١٩٧١، ج : ١، ص ١٠٥.

(٨) المصدر نفسه : ص : ١٠٨.

(٩) شمار، المصدر السابق، ص : ٣٩ للمزيد من المعلومات أنظر : الدوري : رياض عبد الرحمن، السحر والعرافة في العراق القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة ـ جامعة بغداد ـ ١٩٩٨.

(١٠) المصدر نفسه : ص : ٣٧.

(١١) المصدر نفسه : ص : ٣٨.

عليها تنحصر في مبدأين اثنين: الأول: هو أن الشبيه ينتج الشبيه أو أن المعلول يشبه علته، والثاني هو أن الأشياء التي كانت متصلة بعضها ببعض في وقت ما تستمر في التأثير بعضها في بعض من بعيد بعد أن تنفصل فيزيقيا، ويمكن أن نطلق على الأول قانون التشابه، وعلى الثاني بقانون الاتصال[١٢].

ويستخدم الكثير من السحرة قانون التشابه لإلحاق الأذى أو الدمار بأعدائهم عن طريق تدمير أو إيذاء صورهم اعتقادا منهم أن ما يلحقه بالصورة من شر يلحق صاحبها الأذى[١٣]. أما المبدأ الثاني فيقوم على فكرة أن الأشياء المتصلة تظل حتى بعد أن تنفصل تماما أحدهما عن الآخر، ومثال ذلك التعاطف السحري الذي يفترض وجوده بين الإنسان وأجزاء جسم كالشعر والأظافر حتى بعد أن تنفصل هذه الأجزاء عنه[١٤].

فضلاً عن حبل السرة، حيث يعتقد الناس بان المحافظة على الحبل السري والمشيمة والعناية بها تؤثران في نجاح الشخص في حياته بينما تعريضها للتلف والضياع يكون له تأثير سلبي على صاحبها[١٥].

أما أنواع السحر فقد ذكرت النصوص نوعين: منها السحر الضار أو ما سمي بالسحر الأسود وقد استخدم للأضرار بأشخاص وجماعات معينة وقد حاربته السلطات الرسمية في العراق القديم وعاقبت مرتكبيه[١٦]. والنوع الآخر

(١٢) فريزر. المصدر السابق، ص : ١٠٥ _ ١٠٩.

(١٣) المصدر نفسه : ص : ١٠٥ _ ١٠٩.

(١٤) المصدر نفسه : ص : ١٨١.

(١٥) المصدر نفسه : ص : ١٨٥ _ ١٨٦.

(١٦) الأحمد : سامي سعيد، معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام ولشرور، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢، ١٩٧٥، ص ٥٧.

هو السحر الأبيض أو المفيد وقد مارسه الكهنة السحرة لإنقاذ الناس والتخفيف عن مصائبهم وقد أقرته الدولة لأنه يدعو إلى الخير وتخليص الناس من شرور الأرواح والأشباح الخبيثة التي تهاجمهم[١٧].

القوى السحرية

اعتقد العراقيون القدماء أن العالم الذي يعيشون فيه تتحكم فيه قوى خفية خيرة وشريرة متسلطة تتحكم في مصير البشر ويمكن أن تصيبه بالأذى أو تنقذه في أي وقت، وقد أطلق على هذه القوى الخيرة بالآلهة والشريرة بالعفاريت (أو الشياطين) وصنفت إلى ثلاثة أنواع حسب اعتقاد القوم آنذاك:

- وصفت النصوص النوع الأول بأنها تنحدر من نسل الإله العظيم آنو اله السماء "ذرية الإله العظيم آنو"[١٨]. كما تعود في اصلها أيضا إلى الإله أيا (آنكي) والإله مردوخ.
- أشير إلى الصنف الثاني أنهم ينحدرون من اصل البشر أنفسهم ويتمثل هذا الصنف بالعفاريت وأشباح الموتى أو الأرواح الهائمة من قبورها.
- فيما ذكر الصنف الآخر بأنهم من نسل العالم الأسفل أو عالم ما بعد الموت[١٩] وكانت هذه القوى تمثل حشدا كبيراً ولهم القدرة على إلحاق الأذى بالبشر وكانت تقيم في العالم الأسفل مع أرواح الموتى وقد ذكر بهذا الخصوص في قصيدة نزول إتانا إلى العالم الأسفل : "حينما صعدت (آتانا) من العالم الأسفل :

---

(١٧) علي : فاضل عبد الواحد، العرافة والسحر، حضارة العراق، بغداد ـ ١٩٨٥؛ ج١، ص ٢٠٢.

(18) Saggs. W. F. Every Day Life in Babylonia and Assyria London 1967, p. 184.

(١٩) حنون : نائل، عقائد ما بعد الموت، بغداد ١٩٨٦، ص٢١٩.

الشياطين الصغيرة مثل ... القصب

الشياطين الكبيرة كأنها أقلام كتابة الألواح، مشوا بجنبها

ومن مشى أمامها كان بدون ... أمسك بيده صولجانا

والذين مشوا بجانبها كانوا بدون ... حملوا السلاح على جوانبهم

الذين تقدموها.

الذين تقدموا (آناتا) هم مخلوقات لا تعرف الطعام ولا تعرف الماء.

ولا تأكل الدقيق.

ولا تحتسي الخمرة التي تسكب على الرض تكريماً للآلهة.

وتسلب المرأة من حضن الرجل.

وتبعد الطفل عن ثدي أمه المرضع[٢٠].

وقد كانت هذه القوى في معتقدات العراقيين القدماء، كما أشرنا، خيرة وشريرة فمنها ما تعمل لصالح الإنسان وتنقذه من الأرواح الشريرة والخبيثة التي كانت ذات تأثير ضار على حياة الإنسان، فقد كانت تلك العفاريت أولاداً للآلهة الشريرة الذي دحرهم وانتصر عليهم الإله مردوك[٢١].

أما القوى الخيرة فقد تمثلت بأولاد الآلهة آنو وأنليل وأيا (أنكي)[٢٢]... ومن جملة العفاريب الشريرة التي ورد ذكرها في النصوص : أن توككي ليمنوتي، وشياطين عرفت باسم أولاد آنو، وذرية جبال الغرب و كان يشار لها بصيغة الجمع بالسبعة[٢٣]، وكما يتضح ذلك من النص الآتي :

---

(٢٠) كريمر : صموئيل نوخ، الأساطير السومرية، ترجمة : يوسف داود عبد القادر، بغداد ١٩٧١، ص ١٤٥.

(٢١) الأحمد : سامي سعيد، المعتقدات لدينية في العراق القديم، بغداد ١٩٨٨، ط١، ص ٦١ _ ٦٢.

(٢٢) المصدر نفسه : ص ٦١. أنظر كذلك الدوري، المصدر السابق، ص _٣٧٠.

(٢٣) المصدر نفسه : ص ٦١.

إنهم الرياح الهابة المهلكة.

ليست لهم زوجات ولا ذرية.

لا يعرفون شفقة ولا رحمة.

ولا يستجيبون لتضرع ولا لدعاء.

إنهم كالخيول الجامحة في الجبال، يناصبون الإله.

(أيا) العداء.

إنهم حاملوا عرش الآلهة.

يقفون في الطرق ويلوثونها.

إنهم شر، وكل الشر.

إنهم سبعة وسبعة[٢٤].

كذلك ذكرت في النصوص عفريتة شريرة باسم اللامشتو وقد صورها البابليون على خرزة من الحجر بهيئة رأس أسد وجسم امرأة وهي تقف على حمار وترضع حيوانين، وكان الاعتقاد السائد آنذاك أن هذه العفريتة تصيب النسوة عند الولادة وتخطف الأطفال من أمهاتهم[٢٥].

كما وردت الإشارة إلى العفريت نامتارو الذي كان يسبب حسب اعتقاد القوم مرض الطاعون، وعفريت آخر دعي الرابيسو أو الرابيزو والذي كان يسكن في المداخل والزوايا المظلمة، فضلاً عن عفريته أخرى عرفت باسم الليلتو وهي من الإناث كانت تزور الرجال وتثير قلقهم وكان لهذه العفريتة

(٢٤) حنون، المصدر السابق، ص٢١٥.

(٢٥) علي : فاضل عبد الواحد، المعتقدات الدينية في موسوعة الموصل الحضارية، جامعة الموصل ١٩٩١، ط١، ص٣١٣.

جنس من الذكور أيضاً أشير إليهم باسم الليلو تمثلت مهمتهم بمطاردة النساء وإلحاق الأذى بهن[٢٦].

أما العفريت الشرير بازوزو الذي أوكلت إليه مهمة التصرف برياح الصيف اللاهبة، فقد صور في إحدى الخرز بهيئة وجه متجهم وأنياب حادة، وله صدر كصدر الطائر ويدان تشبهان يدي الإنسان، ولكنها تنتهيان بمخالب، كما أن له ذيلاً معقوفاً وأربعة أجنحة[٢٧].

كهنة السحر

ارتبطت ممارسة السحر المفيد في العراق القديم برجال المعبد أو الكهنة، فقد ظهر من بينهم كهنة سحرة عدوا من كبار الكهنة تمثلت مهمتهم بإنقاذ الأشخاص المصابين من السحر الضار أو الأسود، كما وجد إلى جانبهم بعضاً من الكاهنات كن يقمن في أروقة المعابد بهذه المهمة أيضا في تخليص الناس من القوى السحرية الشريرة (الشياطين)، وإجراء الطقوس المناسبة وتلاوة التعاويذ لإبعاد تلك القوى وسوء الطالع الذي كانت تسببه لهم[٢٨].

وقد ذكر بهذا الخصوص اثنان من الكهنة مراراً في النصوص هما : الكاهن أشيبو Asibu والكاهن مشمشو Masmasû [٢٩].

ويبدو أن الكهنة كانوا يقومون أثناء تأدية التعاويذ والطقوس السحرية

(٢٦) ساكز : هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل ١٩٧٩، ص : ٣٤٦ _ ٣٤٧.

(٢٧) علي : المعتقدات، المصدر السابق، ص ٣١٢.

(٢٨) ساكز : المصدر السابق، ص ٣٤٣.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٣٤٣.

بإجراء بعض العمليات الجراحية الطبية معها مما يشير إلى ترافق الطب مع الكهنوت البابلي القديم(٣٠).

وحسب اعتقاد القوم آنذاك كانت الآلهة تعاون الكهنة في أداء الطقوس السحرية فقد ورد في النصوص ذكر الإله أيا الذي عرف بأنه إله الحكمة وكان من مهامه تقديم العون للإنسان المنكوب أثناء المحن التي يمر بها(٣١).

وقد أشير في النصوص أن الإله أيا ذا السلطة السحرية العليا وهب سلطته إلى ابنه الإله مردوك من بعده وهو الإله الذي ذاع شهرته خلال الألف الثاني ق. م ولذلك يلمس الباحث تردد اسم هذا الإله بكثرة في النصوص السحرية، حيث كان الكاهن يتضرع إليه لتقديم المساعدة في أوقات الضيق لإنقاذ المريض أو المسحور من سحره وتعاسته(٣٢)...

كما أن هناك نصوصاً أكديه خاصة أيضاً أشارت إلى السحر والأدعية والتعاويذ الخاصة بذلك في مجاميع عرف عنها بمجموعة سميت بالمَقْلُ Maqlu(٣٣)، وأخرى عرفت بالـ شُورِبُ Surpu (٣٤).

---

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٣٤٣.

(٣١) رشيد : فوزي، الديانة في حضارة العراق، بغداد ١٩٨٥، ج١، ص٥٥، علي : فاضل عبد الواحد، طرق العرافة في النصوص المسمارية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٩، العدد ٢٥، ص٦٩٥.

(٣٢) كونتنيو جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي، وبرهان التكريتي، ط٢، بغداد ١٩٨٦، ص ٤٦٧.

(33) Labat: R. Manuel Depigraphie Akkadienne, Paris. 1959. p. 319.

(٣٤) الأحمد : معتقدات العراقيين، المصدر السابق، ص ٥٧.

المعالجة بالسحر

لما كان السحر من الممارسات التي عرفها الإنسان منذ أقدم العصور، فقد لجأ إليها للمعالجة والتخلص من الكوارث والأمراض التي كانت تصيبه لاعتقاده بتأثير السحر الكبير على حياته ومستقبله، وكانت التمائم والتعاويذ الخطوات التمهيدية الأولى التي استخدمت آنذاك للحماية والمعالجة.

وكانت تلك التمائم قد نظمت على ثلاث مجموعات رئيسة عرفت باسم شُرُبُ Šurpu ومَقْلُ Maglu ، وأُتُكِ ليمُنت Utukki Lemunte ، ويفهم من مجاميع النصوص الأولى والثانية استخدام أسلوب الحرق بالنار بوصفها وسيلة رئيسة لطرد الشر، وقد استهدفت تعاويذ الشرب إنقاذ الأشخاص من الذنوب التي اقترفوها بشأن انتهاك المحرمات الدينية والتي سببت لهم المرض، أما تعاويذ أتك يمنت فهي خاصة بطرد الأرواح الشريرة التي قد تهاجم الإنسان لأسباب وفي ظروف كثيرة(٣٥).

وكانت معالجة الأشخاص تتطلب معرفة الكاهن الساحر أولاً لاسم الشخص وثم تبدأ الخطوات التالية ومنها فحص المريض لمعرفة ماهية السحر ونوع الأرواح الشريرة التي أصابته وبعدها يتهيأ لاختيار التعويذة الخاصة بالحالة يرافقها تأدية الطقوس، ويبدو أن ممارسة تلك الطقوس كانت تتم أما في أحد أروقة المعابد أو في دار المصاب عند فراشه، أو كانت تجري تلك الطقوس في العراء(٣٦).

وقد كان من الضروري على المسحور أن يعترف بخطاياه التي اقترفها

(٣٥) سليمان : عامر، اللغة والكتابة، موسوعة الموصل الحضارية، جامعة الموصل، ١٩٩١. ج١، ص ٣٩٦.

(٣٦) بوتيرو : جان، الديانة عند البابليين، ترجمة وليد الجادر، جامعة بغداد ١٩٧٠، ص ١٢١.

وربما ضد الآلهة مما أثار غضبها وأنزلت العقاب بالمريض، لذلك كان يستوجب على المصاب أن يردد ترانيم توبة لأبطال مفعولها والتخلص من لعنة الآلهة وفيما يأتي نقرأ في نص ما يتعلق بهذا الخصوص :

"إن الإثم الذي ارتكبته، لأجهله

أما تكريساً لخطايا معترف بها

أن تعدد إهمالي لا يحصى

سبع وسبع مرات متعددة هي خطاياي"(٣٧).

كما يتبين من أسطورة أنكي وتنخرساك عن قيام تنخرساك بإزالة آثار اللعنة عن أنكي الذي سرعان ما أصيب بأمراض وعلل، وتتم معالجته من خلال ولادة آلهة خاصة لكل علة أصيب بها وكما يتضح من النص الآتي :

" تنخرساك يا أخي مم تشكو ؟

أنكي : أشكو من ألم في الورك

تنخرساك : لقد خلقت الإله (ننتول) من أجلك.

تنخرساك : ما الذي يؤلمك يا أخي؟

أنكي : أشكو من ألم في أسناني.

تنخرساك : لقد خلقت الآلهة (ننسوتو) من أجلك.

تنخرساك : ما يؤلمك يا أخي؟

أنكي : أشكو من ألم في فمي.

تنخرساك : لقد خلقت الآلهة (ننكاسي) من أجلك.

تنخرساك : ماذا يؤلمك يا أخي؟

---

(٣٧) المصدر نفسه : ص ١٢٢.

أنكي : أشكو من ألم في ذراعي.

تنخرساك : لقد خلقت الآلهة (درايموا) من أجلك"[٣٨].

ثم بعد ذلك كان الكاهن الساحر يتلفظ اسم الشيطان الذي يبغي إخراجه من جسم المريض وفي غضونها يعمد إلى رش الماء على جسمه ثم يبدأ بوضع قطع طينية أو أغصان نباتية على جانبي فراشه، وفي الوقت ذاته يمسك الكاهن الساحر أشيبو أو المشماشو عدداً من أغصان شجرة الصفصاف المقدس (سلاح آنو المقدس) ويتلو التعويذة الخاصة بلعنة أريدو[٣٩].

ويبدو أن الساحر حينما كان يمارس طقوس إخراج الشياطين الشريرة من جسم المريض كان يرتدي ملابس خاصة حمراء (باعتبار اللون الأحمر هو المعارض للشياطين) أو أحياناً كان يلبس جلد سمكة وذلك لتأكيد صلته بالإله أيا، ثم يبدأ بدعوة أربابه لإنقاذ المريض من شرور الشياطين، وعلى الأغلب كانت هذه الطقوس مصحوبة بعدد من الإجراءات الرمزية منها حرق بعض المواد التي تشبه حسب اعتقادهم بالأرواح الشريرة[٤٠]، باعتبار لهيب النار تمثل قوة كبيرة تقاوم السحر، وقد ضمت آلهة النار (كيرا نسكو) وهي التي كانت تناشد دائماً الخير

وتعمل على إبطال عمل السحرة وشرورهم[٤١]. وكما يفهم ذلك من النص الآتي :

" تعويذة كيرا ابن آنو البطل أنت الأقوى بين اخوتك، أنت الذي يحكم في القضايا كالإله سين والإله شمش أحكم في قضيتي واتخذ قرار بشأني. احرق

(٣٨) كريمر، المصدر السابق، ص ٩٩.

(٣٩) الأحمد : معتقدات العراقيين، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٤٠) المصدر نفسه : ص ٥٩.

(٤١) ساكز، المصدر السابق، ص ٣٤٢.

عرافي وساحري : إيه كيرا التهم عرافي وساحري إيه : كيرا، أحرقهم، إيه كيرا : التهمهم ! إيه كيرا أربطهم ! إيه كيرا أمحقهم، إيه كيرا أرسلهم بعيداً "[٤٢].

وحسب المفهوم السحري السائد آنذاك كان الماء والنار يشكلان عنصرين مهمين في طرد الأرواح الشريرة (الشياطين)، ونقرأ في نص بهذا الخصوص فيه نص يخص الإله أيا هي عبارة عن تعويذة ذكر فيها :

"أنا أحمل الشعلة وأحرق أشكالهم، أشكال الأوتككو، والشيدو والرابيزو والاينمو واللابارتو واللاباسو والاخزاز والليلو والليليت، وجميع الشر الذي يملك الرجال. ودخانكم يرتفع إلى السماء وأعضاؤكم سيشمها الإله شمش وهلا يحطم قوتكم مردوك الساحر الكبير ابن آيا"[٤٣].

ومن الطرائق التي كان يلجأ إليها الكاهن الساحر أيضاً لإشفاء المرضى هي القيام بصنع بديل أي دمية من الشمع تشبه المريض ويعمد إلى دفنها في مقبرة مع دمية أخرى تمثل الروح الشريرة المسببة للسحر، وهذه العملية حسب اعتقادهم كانت تحقق غايتين تمثل الأولى القيام بدفن رمزي للروح الشريرة وإعادتها إلى العالم السفلي، والثانية تمثل إيهاماً بأن المصاب قد مات وانتهى[٤٤].

وقد يتطلب إخراج الشيطان من جسم المصاب أحياناً ذبح خروف أو خنزير لتحويل الروح الشريرة (الشيطان) إلى جسم الضحية والتي كانت تتلف بعد انتهاء الطقوس[٤٥].

---

(٤٢) المصدر نفسه : ص ٣٤٣.

(٤٣) رشيد، الديانة، المصدر السابق، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٤٤) الأحمد : معتقدات العراقيين، المصدر السابق، ص ٦١.

(٤٥) ساكز، المصدر السابق، ص ٣٤٥ كذلك : حنون، المصدر السابق، ص ٢١٨ ـ ٣١٩.

وقد ذكر أيضاً في نص وردنا من آشور كبقية عمل بديل لرجل مطلوب من آلهة الموت "عند غروب الشمس يمدد الرجل المريض جدياً إلى جانبه على المنام وعند الفجر ينهض (أي الكاهن) وينحني إلى (إله الشمس) ويحمل الرجل المريض الجدي في حضنه إلى بيت فيه شجرة الطرفاء ويجعل (الكاهن) الرجل المريض والجدي يتمددان على الأرض. وتلمس حنجرة الرجل المريض بخنجر خشبي وتقطع حنجرة الجدي بخنجر برونزي ... ثم تلبس على الجدي ملابس مع وضع قدمه في حذاء، وتزين عينيه بالكحل وصب الزيت على رأسه، فضلاً عن وضع قبعة الرجل المصاب وربطها على رأس الجدي وثم يكفن الجدي ويعامل بوصفه رجل ميت بعدها ينهض الرجل المصاب بالسحر ويقف في المدخل بينما يعيد الكاهن (تلاوة) تعويذة (معينة) ثلاث مرات ويخلع الرجل المصاب رداءه ويعطيه للكاهن ويذهب ويقول الكاهن للرجل المريض قائلاً : لقد مات فلان ابن فلان ! ويأمر الكاهن بإقامة مأتم ويدفن الجدي"(٤٦).

وبهذه الطريقة كان كاهن الاشيبو يحل المريض في جسم الحيوان بدلاً من الشخص المصاب، ويخدع حسب اعتقادهم شياطين العالم السفلي بأن المصاب قد مات وانتهى أمره.

وبهذا الخصوص وردنا نص آخر يتعلق بالكاهن أشيبو والأسلوب الذي كان يستخدمه آنذاك لإخراج شيطان عرف بـ أطيمو من جسم المصاب بالسحر جاء فيه:

إذا أمسك أطيمو بإنسان وصرخ قلبه فيجب أن تهيء نفسك في يوم محظوظ طيب وأغسل جسمك بالماء من الحوض وأذهب إلى البرية وأكنس الأرض بسعفة نخل ثم أعمل شكلاً من الطين تمثل الرجل المصاب ... والبأسه

(٤٦) الأحمد : معتقدات العراقيين، المصدر السابق، ص ٦٢.

(الكاهن) الملابس اليومية الخاصة بـه، وضـع سبع مـرات سبعة رغفـان لأكلـه اليومـي ومغـزل وسـنار ومسـمار وأربطـها إلـى رأسـه ... وبعدهـا يتلـو التعويـذة ثـلاث مـرات ثـم يقطـع عقدة ثوبـه ويعطـي المريض رغيفاً مطبوخـاً فـي رمـاد وكأسين من رغوة البيرة ويربط مع غصنـي صفصـاف وتقرأ عليـه التعويـذة وفـي نهاية (ذكر فيها) ! "قد حلت عقدتها وأبطل سحرها الذي ملأ البرية"[٤٧].

نظرة القانون إلى مرتكبي السحر الضار

اتخـذ ملـوك العـراق القديم ومنـذ الفـترات المبكـرة مـن تأريخـهم إجـراءات تشريعية كان من شأنها الحد من ممارسة السحر الضار ضد الآخرين، فقد أشير في النصوص من عهد الملك جوديا ملك لجش (حدود ٢٢٥٠ ق .م) عـن اتخـاذ عـدد من الإجراءات ضد السحرة[٤٨]، وفي فترات تالية وضع الملك حمورابي في قانونه مادة خاصة حول ذلك ورد فيها تعريض ممارسي السحر الأسود في حالـة اتهامـهم إلى اجتياز امتحان قسري يتمثل بإلقائهم في النـهر، إذ ذكـر فيـها نصـاً (م ٢٠٠) "إذا ألقى رجل على رجل تهمة ممارسة السحر، ولكنه لم يثبتـها، فعلـى الـذي اتـهم بالسحر أن يذهب إلى النهر، وعليـه أن يرمـي نفسـه فـي النـهر، فـإذا غلبـه النـهر، فعلى من اتهمه أن يستولي على بيته. وإذا أثبت النهر أن هذا الرجل بـريء وخـرج منه سالماً، فإن الذي اتهمه بالسحر يعدم أما الذي خرج سالماً من النـهر، فعليـه أن يستولي على بيت متهمه"[٤٩].

---

(٤٧) لنظر أيضا : Kundsen. E. E, Two Nimrud Incantation of the Utukku Type, Iraq, Vol : 27, part 2, 1965, pp. 167 ff.

(٤٨) الأحمد : معتقدات العراقيين، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٤٩) رشيد : فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد ١٩٨٧، ص ١١٩.

وفي مادة قانونية أخرى تعود إلى العصر الآشوري الوسيط (حدود ١٥٠٠– ٩١١ ق.م) أشير إلى عقوبة الموت ضد مرتكبي السحر أيضاً في حالة إثبات

التهمة عليهم، ذكر فيها ما نصه :

"إذا ضبط في يد رجل أو امرأة تحضيرات سحرية، فإذا اتهم بذلك وثبتت التهمة عليه، فالممارس للسحر سوف يقتل، أما الرجل الذي شاهد التحضيرات السحرية، أو أخبر من فم شاهد عيان عن التحضيرات السحرية..."(٥٠).

الخلاصة

يتبين من العرض المقدم أن السحر كان جزءً من معتقدات القوم في العصور القديمة وقد لجؤوا إليها لمعالجة الأمراض التي كانوا يتعرضون لها وإبعاد خطر أشباح الموتى والأرواح الشريرة عنهم.

ويبدو أن ضعف مقدرة القوم على معالجة بعض الأمراض المستعصية الشفاء سببٌ في لجوئهم إلى السحرة، وكما أشرنا، فقد تداخل الكهنوت البابلي مع الممارسات الطبية آنذاك.

وقد حرمت الدولة ممارسة السحر الضار وعاقبت ممارسيها بالموت في حال إثبات التهمة عليهم، بينما كانت تقر ممارسة السحر الأبيض لكونه يحقق الخير والفائدة للأشخاص وينقذهم من الأمراض التي يصابون بها، واعتبرته أحد أساليب العلاج الناجح للشفاء.

---

(٥٠) المصدر نفسه : ص ١٩٨.

Abstract

Magic in Ancient Iraq

Dr. Ahmad, S. M.(*)

The Subject of this Paper deals with the history of magic of the ancient Iraqis which represented, at that time an important aspect of religions convictions.

The study of the Principles and types of magic reflects its effect in the every day life of people. It was apart of their religions convictions during ancient times. They used it to treat diseases and protect them selves from dangers of ghosts of the dead and evil spirits.

It seams that the failure of people to treat irremediable diseases forced them to resort to magicians. The Babylonian priesthood. At that time, was maxed with the medical practices Harmful magic had been for bidden by the goverment and the person who was convicted by practicing magic was sentenced to death. Mean while, the goverment allowed practicing while magic since it achieves good gools for people like saving them from diseases. Hence, it was considered one way of successful medical treatment.

(*) Department of History, College of Arts, University of Mosul.